

التبيان في تفسير القرآن

(23) المضرة التي تلحق صاحبها كالرمية التي تصيبه. ومنه الصواب بأنه أصابه الحق كالرمية في إصابة البغية. وقيل: إنما عمم قوله (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله) وفي المصائب ما هو ظلم، والله لا يأذن في الظلم، لأنه لا يحسن في الحكمة، إلا ترى أنه ليس منها إلا ما أذن الله في وقوعه أو التمكن منه وذلك أذن للملك الموكل به كأنه قبل له لا تمنع من وقوع هذه المصيبة. وقد يكون ذلك بفعل التمكن من الله كأنه يأذن له أن يكون. وقال البلخي: معناه إلا بتخلية الله بينكم وبين من يريد فعلها. وقال قوم: هو خاص فيما يفعله الله تعالى أو يأمر به، ويجوز أيضا أن يكون المراد بالاذن - هنا - العلم، فكأنه قال لا يصيبكم من مصيبة إلا والله تعالى عالم بها ثم قال (ومن يؤمن بالله) أي من يصدق بالله ويعترف بواحدانيته (يهد قلبه) أي يحكم بهدأيته. ويجوز أن يكون المراد يشرح صدره للإيمان. وقيل: معناه يهدي قلبه بأن المصيبة باذن الله ذكره ابن عباس وعلقمة - قال هو الرجل تصيبه المصيبة فيسلم ويرضى ويعلم أنها من عند الله، وقال الفراء: هو أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقال غيره: معناه إذا ابتلي صبر، وإذا انعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر. وقرأ أبو بكر (يهد قلبه) - بفتح الدال - بمعنى يسكن قلبه (والله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه شيء من ذلك. ثم أمرهم فقال (واطيعوا الله) فيما أمركم به (واطيعوا الرسول) فيما أمركم به ونهاكم عنه (فان توليتم) أي فان أعرضتم عن القبول منه وتوليتم عن الحق فليس على رسولنا قهركم إلى الرد إلى الحق (فانما على الرسول البلاغ المبين) الظاهر، وحذف إجازا ثم قال (الله) الذي يحق له العبادة (لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فالتوكل هو تفويض الأمر إلى الله بأنه يتولاه على الحق فيه وقد أمر الله بالتوكل عليه فينبغي للمسلم أن يستشعر